الزيارة والسعي في الديانة المسيحية - طريق الآلام إنموذجا- مقاربة مع زيارة الأربعين

أ. د. محمد فهد القيسي

كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة واسط

mfahad@uowasit.edu.iq

الملخص

تعد مسيرة طريق الآلام من أبرز الطقوس في الديانة المسيحية، حيث تنطلق في المدينة القديمة في القدس وتحاكي مسيرة السيد المسيح من موقع محاكمته إلى الموقع الذي صلب فيه، إذ يحرص المسيحيين على إحياء هذه الشعيرة من خلال المشي سيرا على الأقدام في هذا الطريق مواساة للنبي عيسى عليه السلام وتقربا لله تعالى، وهذه الشعيرة هي قريبة جداً مما يفعله المسلمون في زيارة الاربعين، وفي كلا المسيرتين يقوم المؤمنون بالسير مشياً على الأقدام الى مكان الصلب عند المسيحيين او الاستشهاد عند المسلمين، مصحوبا ذلك بفعاليات اجتماعية ودينية مع ترانيم وأناشيد واستذكار وسط حزن عميق. وسنعمد الى توضيح كل هذا في ثلاثة محاور تضمنها البحث وهي:

اولاً –نبذة تاريخية عن طريق الآلام.

ثانياً –محطات الطريق والفعاليات الدينية والاجتماعية.

ثالثاً –مقاربة مع زيارة المشي في الأربعين.

خاتمة ومجموعة ملاحق.

كلمات مفتاحية: مسيرة طريق الآلام، زيارة الأربعين، السيد المسيح.

Visits and Pilgrimage in the Christian religion -The Route of Pain (Via Dolorosa) as a Model - Comparison with the Fortieth Day Visit

Pro. Dr. Mohammed Fahad Al-Qaisi

Faculty of Education and Humanities - Wasset University

Abstract

The March of the Route of Pain is one of the most prominent rituals in Christianity, it launches in the Old City of Al-Quds simulating the march of "Jesus Christ" from the site of his trial to the site where he was crucified as per the Christian's beliefs. Christians are keen to revive this ritual by marching along this path to console the Prophet Issa (peace be upon him) and earn God's bless.

This rite is very similar to Muslims' march on the Fortieth Day Visit, where in both rites believers march towards the site where their beloved Holy person was unjustly killed, Christians march towards the crucifixion site and Muslims march towards Imam Al-Hussain's martyrdom site. Both marches are accompanied by social and religious and social activities with carols, anthems and effects to remind the marchers of the calamity with deep sadness overwhelming the crowds. The research will clarify all this in three focuses:

First – Historical Brief on the Route of Pain (Via Dolorosa)

Second- Road stations, Religious and Social Activities

Third- Comparison with the March of the Fortieth Day Visit

Finale and appendices.

Keywords: Route of Pain March, the Fortieth Day Visit, Christ (peace be upon him).

المقدمة

من الطقوس المهمة في الديانة المسيحية هي مسيرة طريق الآلام، وهي مسيرة تنطلق في المدينة القديمة في القدس، تحاكي مسيرة السيد المسيح من مكان محاكمته الى المكان الذي تم (صلبه) فيه نحو (٣ نيسان بين عامي ٣٠ – ٣٣م).

وقد حرص المؤمنون من المسيحيين على إحياء هذه الشعيرة من خلال المشي سيرا على الأقدام في هذا الطريق تقربا لله، ومواساة للنبي عيسى عليه السلام في محنته. وهذا الطقس قريب جدا مما يفعله المسلمون في زيارة الأربعين، إذ يحاكون مسير أسرة الحسين عليه السلام التي عانت مرارة السبي والإرهاق في المشي بعد استشهاده وصحبه وصولا الى قبره في كربلاء بعد أربعين يوماً من استشهاده نحو (٢٠ صفر ٦٨٠م/ ٦١هـ).

ان دراسة هذه المواضيع سيعمل على زيادة فرص التقارب والحوار مع الأديان الأخرى وبالأخص السماوية منها، اذ انها تبرز الأمور المشتركة التي من خلالها يتم التواصل والتعاون بين أفراد المجموعة الإنسانية على نحو اعم، فكلا المسيرتين كان السبب الرئيس لهما هو الشهادة والتضحية بالنفس في سبيل الله من قبل نبي ووصي نبي، وكلاهما أي: الشهيدين –ما يخص السيد المسيح شرع بقتله ولكن الله رفعه– تعرضا الى حالة ظلم وتعذيب شديدين من سلطة ظالمة حاكمة، وعلى هذا الأساس ولرغبة الناس بعد عصور متمادية ووقت طويل في الحفاظ على جذوة كلا الدعوتين، من خلال الوفاء لهما بإحياء ذكرهما عن طريق استذكارهما في أوقات معلومة شهدت عملية الاعتداء عليهما وقتلهما او الشروع في ذلك.

وفي كلا المسيرتين يقوم المؤمنون بالسير مشيا على الأقدام الى مكان الصلب عند المسيحيين او الاستشهاد عند المسلمين، مصحوبا ذلك بفعاليات اجتماعية ودينية مع ترانيم وأناشيد واستذكار وسط حزن عميق. وسنعمد الى توضيح كل هذا في ثلاثة محاور تضمنها البحث وهي:

اولاً – نبذة تاريخية عن طريق الآلام.

ثانياً – محطات الطريق والفعاليات الدينية والاجتماعية.

ثالثاً – مقاربة مع زيارة المشي في الأربعين.

خاتمة ومجموعة ملاحق.

اولاً - نبذة تاريخية عن طريق الآلام

طريق الآلام يقع في المدينة القديمة في القدس، وهذا الطريق هو نفسه الطريق الذي ساربه السيد المسيح من محاكمته الى مكان صلبه بحسب معتقدهم، وقد تم العثور على روايات الأحداث التي رافقت (صلب) السيد المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة وهي: متى ومرقس ولوقا ويوحنا، الا أن ثلاثة من هؤلاء وهم: متى ومرقس ولوقا قدموا رواية متشابهة ومتقاربة في مضمونها، بينما تباينت رواية إنجيل يوحنا اختلافًا كبيرًا عنهم[1].

«ولقد قامت القديسة هيلانة – ام الامبراطور

قسطنطين – بتطويب طريق الآلام وهي التي حددته وبنت كتيسة القيامة عام (٣٣٥م) التي ترمز الى قيامة السيد المسيح من بين الاموات»[٢].

وتعود الطقوس المتبعة في حياء طريق الآلام إلى وجود الفرنسيسكان[٣] في الأراضي المقدسة/ فلسطين منذ عام ١٢٢٠م، إذ أنهم أسسوا في عام ١٣٤٢ حراسة الأراضي المقدسة، وبعد اتباع الطقوس التقليدية المستخدمة في الكنيسة الأرثوذكسية المحلية بدأ الاستخدام الأول لمصطلح محطات – وهي الاماكن الموجودة في الطريق، والتي ترتبط بحدث رافق السيد المسيح في مسيرته هذه– نقلا عن أخبار الإنجليزي ويليام وي الذي زار (الأراضي المقدسة) في عامي ١٤٥٨ و١٤٦٢[٤]، اي: إنه هو الذي أشار لهذه المحطات لأول مرة في فلسطين.

ولغرض ترسيم هذا الطريق وإضفاء مسحة شرعية عليه فقد أصدر مرسوم من البابا إنوسنت الحادي عشر في سنة ١٦٨٦م سمح للفرنسيسكان بإنشاء محطات في كنائسهم، وفي سنة ١٧٣١م حدث تطور ملحوظ فيما يخص طقس زيارة المشي عند المسيحيين على نحو عام، فقد قام البابا كليمنت الثاني عشر بالسماح على نطاق عريض بتشييد محطات درب الآلام في أي مكان يوجد فيه المسيحيون سواء كان كنيسة أم ديراً أم مزاراً محدداً، وكان هذا الأمر لا يتم الا بضابطة مهمة وهي أن يكون من صنع الفرنسيسكان أنفسهم، وقد تم أكد هذا التقليد في سنة ١٧٤١م البابا بنديكتوس الرابع عشر[٥].

وقد قام البابا في سنة ١٧٤٢ بترتيب نظام المحطات وصفتها المادية؛ اذ يجب احتواؤها على صلبان من الخشب قد حصلت على البركة على وفق لطريقة معينة. وتحتوي على رسوم ولوحات ومجسمات منحوتة. وقام الراهب الفرنسيسكاني ليونارد دي بورت موريس بتحديد عدد المحطات بأربع عشرة محطة تبدأ من محاكمة السيد المسيح حتى قبره.

وفي سنة ١٨٦٢ قرر البابا السماح للكهنة بإقامة محطات لطريق الآلام في الكنائس التابعة لهم، ويمكن ان يكون السبب في ذلك صعوبة الوصول الى الأماكن المقدسة في فلسطين لسبب او آخر، ولذا كانت محطات الصليب الرمزية في الكنائس البعيدة تمثل رحلة حج رمزي لهم، إذ تمنحهم شعورا بالوجود في الارض المقدسة[٦].

وعلى هذا الأساس تشكلت في فرنسا مراحل طريق الآلام الأربع عشر في بداية القرن التاسع عشر ومنها انتقلت الى ايطاليا بعد زيارة الكهنة لها والدعوة اليها في النصف الثاني من القرن العشرين[٧]، وهنا نجد ان طقس الزيارة مشيا على الاقدام الى حيث مكان الآم السيد المسيح لم يقتصر غلى فلسطين فقط بل تعداه الى دول اوربية اخرى مثل فرنسا وايطاليا، وعليه تكون زيارة المشي معروفة في أكثر من ديانة وأكثر من قارة وأكثر من بيئة ثقافية ودينية.

وعلى نحو عام يمكن القول: إن طريق الآلام او ما يعرف ب (درب الصليب) هو فعالية دينية وطقس منظم يجري قي وقت محدد هو أسبوع الآلام الذي يمتد بين ١٠ و١٦ نيسان من كل عام، ويقام في

الكنيسة أو في الطرقات العامة، وتقرأ فيها نصوص صلب السيد المسيح ضمن أربع عشرة مرحلة، وهذه المراحل ذكرها كتاب العهد الجديد فضلا عن بعض المراحل المأخوذة من المرويات التاريخية المسيحية التي وصلت لنا على نحو او آخر، وتتزامن كل مرحلة من المراحل بإقامة الصلاة فضلا عن وجود ممارسات أخرى لدى الطوائف المسيحية الأخرى.

ثانياً - محطات الطريق والفعاليات الدينية والاجتماعية

يمتد طريق الآلام – كما بينا سابقا –من باب الآسباط الى كنيسة القيامة[٨] في مدينة القدس القديمة ويحتوي على أربع عشرة محطة[٩]، ترتبط كل محطة منها بحدث واجه السيد المسيح بين محاكمته الى مكان صلبه، وهذا الطريق يبلغ طوله كيلومتراً واحداً، وهو يمر بين أزقة القدس القديمة ويسير به الآلاف من الزوار والحجاج على درب المسيح الذي سلكه قبل أكثر من ألفي عام.

وهو الطريق التي سلكه السيد المسيح من المحكمة إلى جبل الجلجثة حيث تم صلبه. ويحتوي الطريق على (١٤ مرحلة) منها (٩) مراحل في الطريق نفسه و(٥) مراحل داخل كنيسة القيامة، وهو أيضاً طريق ملئ بالكنائس والمزارات والأسواق[١٠].

وتبدأ زيارة المشي من باب حطة حيث تقع المدرسة العُمرية والتي تعرف تاريخياً باسم المدرسة الجاولية، وتنتهي بداخل (القبر المقدس) بكنيسة القيامة، وتنقسم المحطات على قسمين مهمين هما[١١]:

القسم الأول: وتقع المحطات فيه خارج كنيسة القيامة ويتألف من(٩) مراحل.

القسم الثاني: وتقع المحطات فيه في داخل كنيسة القيامة نفسها ويتألف من خمس مراحل.

ولتوضيح كل مرحلة من هذه المراحل: حسب القسم التي وردت فيه يمكن تقسيمه على النحو الآتي:

أ- القسم الأول: وهو القسم الذي يقع في خارج كنيسة القيامة ويضم المحطات الآتية:

١. المحطة الأولى:فيها أصدر الحكم بيلاطس البنطي –وموقع هذه المحطة في المدرسة العُمريه– وهو مكان مرصوف بالحجارة ويقع في أسفل كنيسة راهبات صهيون، وهنا تم تتويج المسيح عليه السلام بإكليل من الشوك على رأسه.
٢. المحطة الثانية: فيها أصدرت الحكم السلطة الحاكمة ممثلة بالحاكم الروماني بيلاطس، اذ تم جلده وتسليمه للجنود، ويوجد في هذه المحطة مزاران مقدسان[١٢].
٣. المحطة الثالثة: تتمثل بمكان سقوط المسيح عليه السلام على الأرض أول مرة وهو محمول على الصليب. وبنيت في هذه المحطة كنيسة صغيرة للأرمن الكاثوليك، وموقعها في الوقت الحاضر عند مفترق طريق الآلام والطريق الذي يصل بين الوادي وباب العمود.
٤. المحطة الرابعة: تقع على بعد أمتار من المرحلة السابقة، وهي المكان الذي تم فيه لقاء المسيح عليه السلام لأمه مريم عليها السلام، وتوجد فيها (كنيسة سيدة الأحزان) وحجرً على الطريق يمثل السيدة

العذراء عليها السلام وابنها المسيح عليه السلام.

٥. المحطة الخامسة: تقع عند ملتقى طريق الواد بأول الحقبة المعروفة (بحقبة المفتى) – وهنا احس السيد المسيح بثقل حمل الصليب، وسقط على الأرض ثانية فقام سمعان القرواني بحمل الصليب معاوناً للسيد المسيح عليه السلام[١٣].

٦. المحطة السادسة: تبعد نحو (١٠٠) متر عن المرحلة السابقة – وفى هذا المكان قامت السيدة (فيرونيكا) بمسح وجه المسيح عليه السلام الملطخ بالدماء، ويوجد في هذا المكان منزل القديسة فيرونيكا وقبرها.

٧. المحطة السابعة: وتبعد نحو (١٠٠) متر عن المحطة السادسة ويوجد الشارع الذى يدعى (خان الزيت)، حيث سقط المسيح عليه السلام على الأرض بالصليب للمرة الثانية من شدة التعب والألم والارهاق[١٤].

٨. المحطة الثامنة: تقع بالقرب من الدير المسمى (بدير مارلامبوس) لطائفة الروم الأرثوذكس. وفيها تحدث السيد المسيح عليه السلام مع النساء اللاتي حضرن الواقعة قائلا لهن: «لا تبكي علي بل تبكين على أبنائكن وعلى أنفسكن». وهنا تنبأ السيد المسيح بما سيحل بمدينة أورشليم من دمار على يد الإمبراطور الروماني تيتوس سنة ٧٠م، والتي تم قتل معظم سكانها وتدمير الهيكل المقدس فيها[١٥].

٩. المحطة التاسعة: فيها سقط السيد المسيح على الأرض للمرة الثالثة، وتقع عند دير الأقباط الأرثوذكس في الوقت الحاضر[١٦].

ب – القسم الثانى من المحطات: يقع داخل كنيسة القيامة ويضم المحطات الآتية وهي:

١. المحطة العاشرة: فيها تم تجريد السيد المسيح من ثيابه تمهيدا لإعدامه، ويمكن ملاحظة الشبه بين الموقفين للسيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام عندما تم تجريده من ملابسه، لكن عملية التجريد للامام الحسين عليه السلام تمت بعد مقتله[١٧].

٢. المحطة الحادية عشرة: فيها تم دق المسامير في طرفي السيد المسيح السفلي والعلوي.

٣. المحطة الثانيه عشر:فيها تم صلب السيد المسيح، وتمثل هذه الحالة أشد الأمور إيلاما عليه، وتمثل القمة في التعذيب – اذ يعتقد المسيحيون انه مات بعد عملية الصلب – خلاف المسلمين الذين يؤمنون بأنه لم يقتل ولم يصلب بل الله رفعه الى السماء: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾[١٨] وفي هذه المحطة تم بناء هيكل لطائفة اليونان الأرثوذكس.

٤. المرحلة الثالثة عشرة: فيها تم إنزال جسد السيد المسيح من على الصليب ووضع على حجر ثم تم تكفينه.

٥. المرحلة الرابعة عشرة: فيها تم إيداع جسد السيد المسيح في القبر، ويذكر أنَّ من أودعه في القبر هو شخص يدعى (نيقيمودوس)[١٩] – وكان قبراً جديداً لم يوضع فيه أحد من قبل. وبعد ثلاثة أيام قام السيد المسيح من القبر[٢٠] وهنا

تتطابق الروايتان المسيحية والإسلامية في عدم موته عليه السلام، وسواء كان نفي الموت مطلقاً إسلاميا او بعد ثلاثة ايام مسيحيا فكلا الأمرين يثبتان حياة خالدة للسيد المسيح عليه السلام في هذه الدنيا، وكرامة خاصة له من الله تعالى.

علما أنه يتم في كل محطة من المحطات التي ذكرها سابقا حالة من التأمل والتفكير في الحوادث التي مر بها السيد المسيح عليه السلام من قبل الاشخاص الذين يؤدون الزيارة لهذه الأماكن مشيا على الأقدام، ومحطات التأمل تتم كالاتي:

المحطة الأولى: يتم التأمل في حالة السيد المسيح وهو يصدر عليه حكم الإعدام.

المحطة الثانية: يتم التأمل في حالة السيد المسيح وهو يحمل الصليب وهو ينوء بحمله.

المحطة الثالثة: يتم التأمل فيها والمسيح عليه السلام يقع تحت الصليب من فرط ثقله وعرقلته لحركته.

المحطة الرابعة: يتم التأمل في حالة السيد المسيح وهو يلتقي أمّه التي أضناها الألم جراء ما حصل له.

المحطة الخامسة: يتم التأمل فيها والسيد المسيح قد عاونه أحد الأشخاص في حمل صليبه حتى تسهل حركته.

المحطة السادسة: فيها يتم التأمل في السيد المسيح وهو يقع تحت الصليب مرّة ثانية، مما يدل على شدة عذابه وهو حاملٌ لهذا الصليب.

المحطة السابعة: فيها يتم التأمل والسيد المسيح قد مسح وجهه من التراب والدم بواسطة إحدى النساء التي تحولت فيما بعد الى قديسة، وهنا نجد دورا واضحا للمرأة في قضية السيد المسيح عليه السلام كما كان لها الدور نفسه في قضية الحسين عليه السلام.

المحطة الثامنة: فيها يتم التأمل بما جرى بين السيد المسيح ونساء أورشليم من حديث، وكيف انه عليه السلام تنبأ لهن بما سيجري عليهن من سوء بعد عدة من سنوات، وهنا يتجلى الإعجاز الرسالي بسبب القدرة على الإخبار بالغيب بقدرة الله تعالى.

المحطة التاسعة: هنا يتم التأمل في ثقل هذا الصليب وقسوته على السيد المسيح الى درجة انه قد وقع عليه للمرة الثانية في أثناء هذه المسيرة المليئة بالآلام.

المحطة العاشرة: هنا يصل التأمل الى أقصى مدى، عندما يتم تجريد السيد المسيح من ثيابه تمهيدا لصلبة، وهذا أعظم شيء يمكن تصوره فهو يستبطن عذاباً معنوياً أكثر منه جسديّاً.

المحطة الحادية عشرة: فيها يتم التأمل بالسيد المسيح، وقد تم تعذيبه على نحو قاسٍ جدا بدق المسامير في جسده، وهذا الالم لا يمكن تصوره.

المحطة الثانية عشرة: فيها يتم التأمل بالسيد المسيح وقد فارقت روحه جسده، (وهنا نجد سؤالاً مهماً يستحق النقاش وهو اذا كان المسيح الها فكيف تفارق روحه جسده)؟ علما ان الديانة الإسلامية تنفي حالة موته وتثبت له عملية الرفع الى السماء.

المحطة الثالثة عشرة: فيها يتم التأمل في السيد المسيح عليه السلام وقد تم إنزاله من الصليب ووضعه على

حجر والبدء بعملية تكفينه.

المحطة الرابعة عشرة: فيها يتم التأمل بالسيد المسيح وقد تم دفنه في القبر، وتدفعنا هذه المحطة للتامل في ألوهية المسيح. علما ان الإمام الإمام الحسين عليه السلام لم يحصل له هذا الامر -اي عملية الدفن- بل ظل مطروحا على الأرض مدة ثلاثة ايام حتى تم دفنه.

وفيما يتعلق بوقت الزيارة -اي زيارة طريق الآلام- فهو يمتد من منتصف النهار، ويتم في هذه الزيارة المشي الهاديء الحزين مع استذكار كل مرحلة وما جرى للسيد المسيح في مسيرة آلامه مصحوبا بترانيم خاصة، وان طقس المشي في درب الآلام يتم الصيام فيه على نحو اختياري او إجباري[٢١]. وفي اسبوع الآلام يتم قراءة القصة الكاملة لأيام السيد المسيح الأخيرة استنادا الى المعلومات الواردة في الاناجيل مع ترديد المجتمعين للترانيم الخاصة بالمناسبة[٢٢].

وتقيم أغلب الكنائس فعاليات لإحياء ذكرى الصلب وذلك بعد ظهر يوم الجمعة، وتبدأ الزيارة بهيئة وقفة احتجاجية من الظهر حتى الساعة الثالثة مساءا، وهو الوقت االذي يعتقد ان السيد المسيح قد وضع فيه على الصليب، كما يتزامن مع فعاليات تمثيل لوقائع الصلب بكل تفاصيلها قي أغلب الكنائس سواء كانت يونانية او كاثوليكية او ارثوذكسية[٢٣].

ومن التقاليد الاجتماعية المرافقة لزيارة المشي في طريق الآلام: «في سوريا ولبنان ارتداء النساء ثياب سوداء علامة الحداد في حين تبثّ مكبرات الصوت ترانيم المناسبة مثل «اليوم علّق على خشبة» و«أنا الأمّ الحزينة»، وفي الفيليبين تغلق أغلب المحال التجارية وتتوقف المبادلات التجارية والحفلات في هذا اليوم، في حين يقوم بعض الشبّان كما في دول أمريكا الجنوبية والدول الكاثوليكية تمثيلاً حيًا لدرب الآلام، وفي إسبانيا تُقام مسيرات الجمعة العظيمة في جميع أنحاء المملكة وأبرزها المسيرة التي تقام في مدينة إشبيلية. أما في القدس فيتم الاحتفال بدرب الصليب بحسب مواقعه التقليدية في المدينة القديمة بدءًا من قلعة أنطونيا حتى كنيسة القيامة»[٢٤].

و«ينسحب هذا الأمر على البرامج التلفازية فتزداد البرامج حول حياة يسوع وآلامه في جميع دول العالم المسيحي فضلًا عن ترانيم تتعلق بالمناسبة. وفي الدول ذات الثقافة البروتستانتية يؤكل كعك خاص في المناسبة، فضلًا عن إغلاق المحال التجاريّة ولا سيما محال بيع الكحول ويتم إيقاف جميع البرامج الكوميديَّة في الإذاعة والتلفاز»[٢٥]. ولا يحلّ للمسيحين الزواج أو العماد خلال يوم الجمعة العظيمة، ولا تجوز المظاهر الاحتفالية، وفي لبنان تحديدًا كان من العادات الركوع ثلاث ساعات تذكارًا للساعات الثلاث التي نازع فيها السيد المسيح على الصليب[٢٦].

ثالثاً- مقاربات مع زيارة الأربعين

لعل من الجدير ذكره ان من أبرز صور التقارب المسيحي الإسلامي فيما يخص هذه الجزئية -أي زيارة المشي في طريق الآلام- ان تقوم أسرتين مسلمتان

بعملية حراسة كنيسة القيامة، وتعهد لهما بحراستها منذ فتح عمر بن الخطاب للقدس سنة (٦٣٦م/ ١٦هـ)، وقد تحدث أحد افراد هذه الأسرة وهو (وجيه نسيبة) عن هذا الموضوع بالاتي:

«تحظى أسرة نسيبة بالإشراف على الأماكن المسيحية المقدسة في القدس، وهي مسؤولية تنتقل لهم أبا عن جد منذ مئات السنين، وهذا يجسد أبلغ حالات التوافق والتسامح بين الديانات والطوائف.

وهم يشرفون أيضا على كنيسة القيامة، التي تعد من أقدس الكنائس في العالم، والتي ترتبط بحالة (قيامة) السيد المسيح بعد الموت»[٢٧].

ويستكمل نسيبه قائلا: «إن أسرتنا بدأت بهذه الوظيفة منذ فتح عمر بن الخطاب للقدس، وقدم له البطريرك (سفرونيوس) مفاتيح كنيسة القيامة، كى تصبح الأماكن المقدسة أمانة في أعناق المسلمين، حتى احتلت الجيوش الصليبية مدينة القدس ١٠٩٩م. وخرجت أسرة نسيبه مع من خرج من القدس، وفي سنة ١١٨٧ م تمكن صلاح الدين الأيوبي من هزيمة جيوش الصليبيين وعادت الأسرة مع من عاد بقيادة صلاح الدين، إذ أعاد المهمه الى أسرة (نسيبه) مرة أخرى وفى سنة ١٦١٢ م – تقاسم العمل مع أسرة (نسيبة) أسرة (جوره) المسلمة»[٢٨].

ومن أبرز المقاربات لطقوس طريق الآلام مع زيارة المشي في أربعين الإمام الحسين ما يلي:

١. كلا الزيارتين تتوجهان الى رمزين دينيين كبيرين–وان كان أحدهما يمتاز بدرجة النبوة والرسالة أي السيد المسيح عليه السلام – والحسين عليه السلام هو امتداد رسالي للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم بصريح قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنْ الْأَسْبَاطِ»[٢٩]، وعلى هذا الاساس فالغايتان نبيلتان ومقدستان وتشيعان في النفس كل ما هو نقي ويقرب الى الله تعالى.

٢. كلا الفعاليتين منعهما على نحو او اخر الحكام الذين كانوا يخشون تعبئة الناس ضد الظلم والاستغلال والاستعباد، وكانوا يستشعرون الخوف من تحشيد المؤمنين بإزاء هدف واحد سامي، وما يشيع ذلك في النفوس من عزة وتحدي ومقاومة لأهل الطغيان والاستكبار.

٣. كلا الزيارتين تقومان على قضية الحزن والتفجع لعظم المصيبة، مع وجود أجواء وممارسات تقوم على مواساة صاحب المصيبة سواء كان السيد المسيح عليه السلام أو الحسين بن علي عليهما السلام، ويظهر ذلك جليا من خلال طريقة الإحياء ونوع الملابس، وطريقة الشعائر، وترديد الكلام الخاص بالمناسبة.

٤. كلا الفعاليتين – أي زيارة الأربعين وطريق الآلام – وقتهما بعد الظهر، إذ يذكر أنَّ محاكمة السيد المسيح وصلبة كانت في هذا الوقت من النهار تقريبا فضلا عن أنّ السبايا عادت الى مكان كربلاء بعد الظهر وجرت الأحداث فيها كما هو معروف.

٥. هناك حالة حزن جماعي في كلا الزيارتين، إذ تظهر هذه الحالة من الحزن من خلال تعطيل فعاليات اجتماعية متنوعة تكون مباحة فيما عداها من أوقات من أيام السنة مثل مناسبات الأعراس

والمناسبات المفرحة الأخرى، ويستبدل بدلا منها حالة الحداد على ماجرى من مصيبة في كلا الحادثتين.

٦. لقد مرت كلا الزيارتين بحالة من التدرج والنمو على مدى مئات السنين، ولم تكونا وليدة لحظة محددة او أمر من جهة روحية او سياسية عليا، بل انهما نضجتا وتطورتا مع نضج أتباعهما وتقدم الوقت ومراجعة المصادر الخاصة بكل منهما، ولا ننكر أن هناك دوراً معيناً للسلطات الحاكمة في بعض المفاصل التاريخية، بغض النظر عن دوافعها سواء كانت مصلحية نفعية او دينية مبدئية.

٧. كل من الزيارتين تتمان سيراً على الأقدام مع اختلاف المسافة بينهما، فزيارة طريق الآلام تقتصر على السير مسافة كيلومتر واحد، أما زيارة الأربعين فإن المسير والمسافة فيه غير محددة، فهي تتراوح بين مئات الكيلومترات وبضع خطوات، ولكن ما يجمع كلا الزيارتين أنَّ عامل القربة الى صاحب المصيبة وخالقه هو المحفز على المشي.

٨. كلا الزيارتين تنتهيان بنهاية المرقد المقدس لكليهما سواء كان السيد المسيح او الإمام الحسين عليهما السلام، فضلا عن وجود هدف واحد لكلا الزيارتين وهو مكان الاعتداء على صاحب المقام، ومحاولة احياء هذه الذكرى الأليمة واستذكار حالة الظلم والطغيان التي تعرض لهما هذان الرمزان الدينيان الكبيران.

٩. يأتي أفراد من جنسيات مختلفة في كلا الزيارتين -من دون مبالغة- من قارات العالم المختلفة، وبذلك يمكن الجزم بأن كلا الزيارتين هما زيارتان عالميتان وليستا محليتين او إقليميتان، وبذلك فانهما يمثلان تراثا إنسانيا خالدا ومشتركا بين شعوب العالم على اختلافها.

١٠. لغرض استذكار المآسي والمصاعب التي تعرض لها كل من السيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام فإنه يتم قراءة وقائع الاستشهاد في كليهما، وتتم ترديد القصص التي تعرضا لها من قبيل التعذيب والتجاوز، وصولا الى حالة التعدي والقتل التي أنهت حياتيهما بالشهادة المعنوية للأول والفعلية للثاني.

١١. يتم ارتداء الملابس السوداء حزنا على ما جرى على الاثنين، فضلا عن الاحتشام في الملابس وترك المظاهر التي تدل على الفرح مثل البث التلفزيوني وبرامجه الكوميدية او البرامج التي لا تتناسب مع هذه المناسبة.

١٢. هناك حالة تجسيد لوقائع كلا المناسبتين تمثيليّاً، وذلك لتقريب صورة ما جرى لأذهان الناس في الوقت الراهن، او للأشخاص الذين لا يستطيعون قراءة الأحداث لسبب او آخر، فضلاً عن تقريب المشهد التمثيلي للفهم والإدراك أكثر من غيره من الوسائل، علما أنَّ تمثيل واقعة الأربعين يطلق عليه مصطلح (التشابيه).

١٣. في كلا الزيارتين يتم رفع رايات وشعارات تخص المناسبتين، فضلاً عن أعلام دول الزائرين، ويتم ترديد الأناشيد والتراتيل الخاصة بكل زيارة من هاتين الزيارتين.

١٤. في كلا الزيارتين يوجد حضور واضح للعنصر النسوي رموزاً متمثلا بالسيدة مريم والقديسة

فيرونكا فيما يخص السيد المسيح عليه السلام، والسيدة زينب والسيدة ليلى ورملة والرباب فيما يخص الإمام الحسين عليه السلام.

١٥. كلا الشخصيتين - السيد المسيح والإمام الحسين عليهما السلام - تم الاعتداء عليهما وتعذيبهما قبل الموت، وتم تجريدهما من ملابسهما، وهذا الامر مؤلم جدا للزوار حين يستذكرونه.

١٦. فيما يخص التأمل يمكن لنا القول: إنّ في زيارة الحسين عليه السلام توجد محطات أيضا، وهي الى الآن موجودة آثارها في كربلاء بالقرب من مرقده، ومن هذه المحطات هي:محطة المخيم الذي خيمت فيه أسرة الحسين عليه السلام ومحطة التل الذي وقفت عليه السيدة زينب منادية أخيها ومحطة قطع كفي العباس عليه السلام الأيمن والأيسر ومحطة نحر الإمام الحسين عليه السلام وقطع رأسه.

الخاتمة

بعد إكمال البحث يمكن إيراد أبرز الاستنتاجات التي يمكن استنباطها منه، وهي:

١. توثيق عرى الأخوة بين الديانتين المسيحية والاسلامية من خلال هذا المشترك، الذي يتضمن أسمى حالات التضحية البشرية في سبيل المبدأ وهو حالة التضحية بالنفس في سبيل الله والرسالة الحقة.

٢. نفي التعصب من خلال المشتركات بين الديانتين المسيحية والإسلامية، ما يؤدي الى خلق حالات من الحوار والتقارب ونبذ مئات السنين من التعصب والكراهية والحروب الدينية.

٣. توثيق حالات رفض الظلم من خلال الارتباط بالصالحين هو أبرز ما يمكن استنتاجه من هاتين الزيارتين، ذلك أن الظلم أصله وصفته واحدة، ولكن مظاهره مختلفة ومتعددة، وهو موجود في كل زمان ومكان، لكنه يختلف شكلا ووسيلة واتساعا.

٤. تقوية الروابط الثقافية والروحية بين الغرب والشرق ونبذ الاستعمار الذي أذاق الشرق مر التعامل وقسوة السيطرة، وعلى هذا الأساس سيقدم أرضية مشتركة للحوار المفضي الى الاعتذار من تلك الحقبة المريرة التي عانى منها الشرق كثيرا.

٥. زيادة الأواصر الاجتماعية على مستوى العالم وتجسير الهوة بين الأعراق والثقافات، من خلال لقاء الكثير من الجنسيات خلال الزيارة من مختلف أرجاء العالم والذي يحدث في كلا الزيارتين.

٦. مواجهة الاغتراب الثقافي والغزو الفكري من خلال التمسك بقصص الصالحين وسيرتهم، وهذا الأمر في غاية الأهمية لمواجهة ثقافة التنميط الاستهلاكي والسطحي للأفراد والجماعات، والتوجه بالحياة على نحو شبه تام الى الإغراق بالماديات والابتعاد عن الروحانيات والأمور الوجدانية التي تحفظ للنفس هدوئها وطمأنينتها.

٧. توحيد الناس على هدف واحد وأشخاص صالحين محددين رغم اختلاف مشاربهم وجنسياتهم ومناطقهم، وهذا الأمر في غاية الصعوبة إذا أردنا خلقه والعمل على تنشئته لكنه موجود فعلا في كلا الزيارتين.

الملاحق

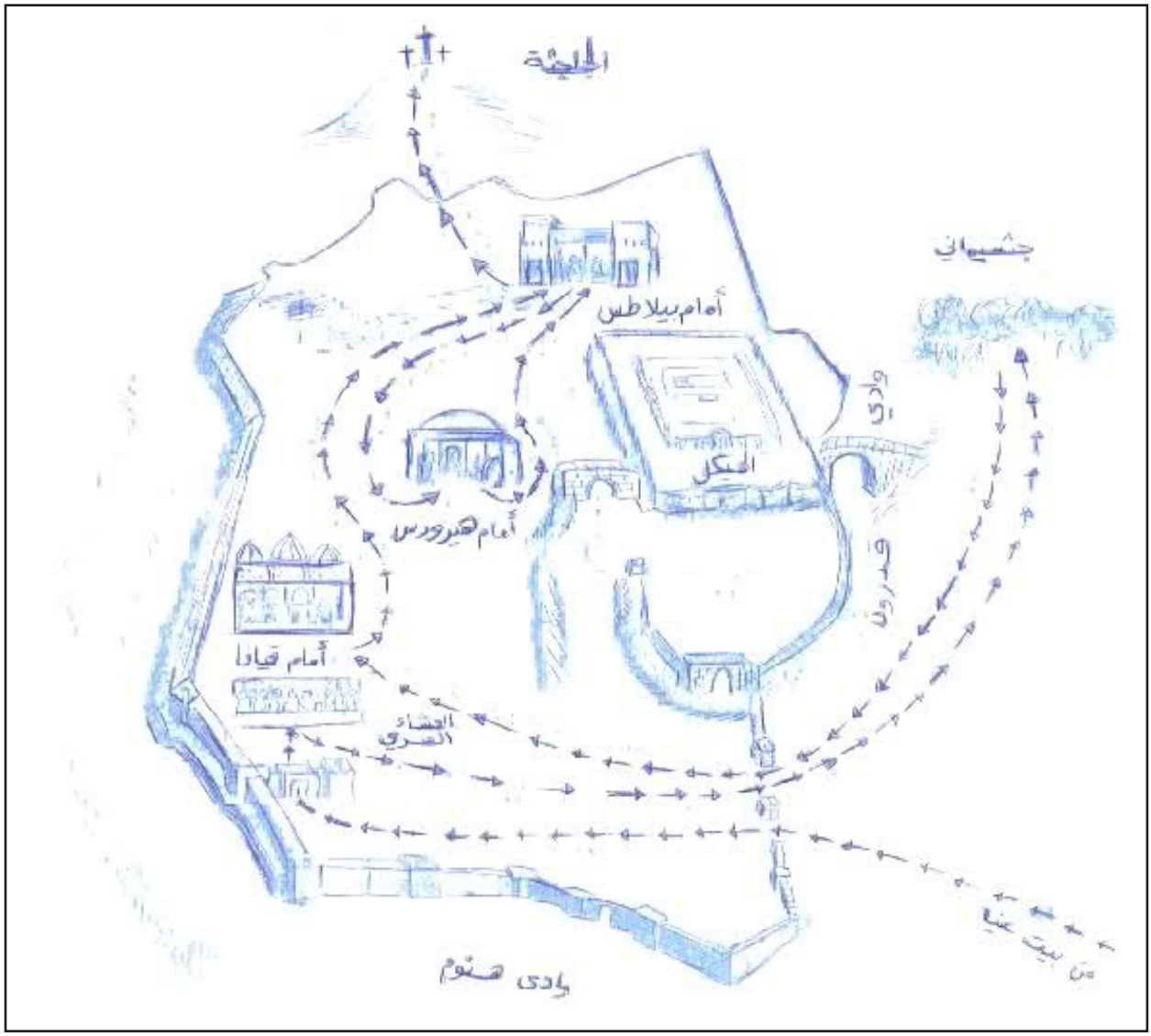

محطات طريق الالم

نقلا عن: هديل ضميري، آلام السيد المسيح، الهيئة الإسلامية المسيحية- دائرة الإعلام

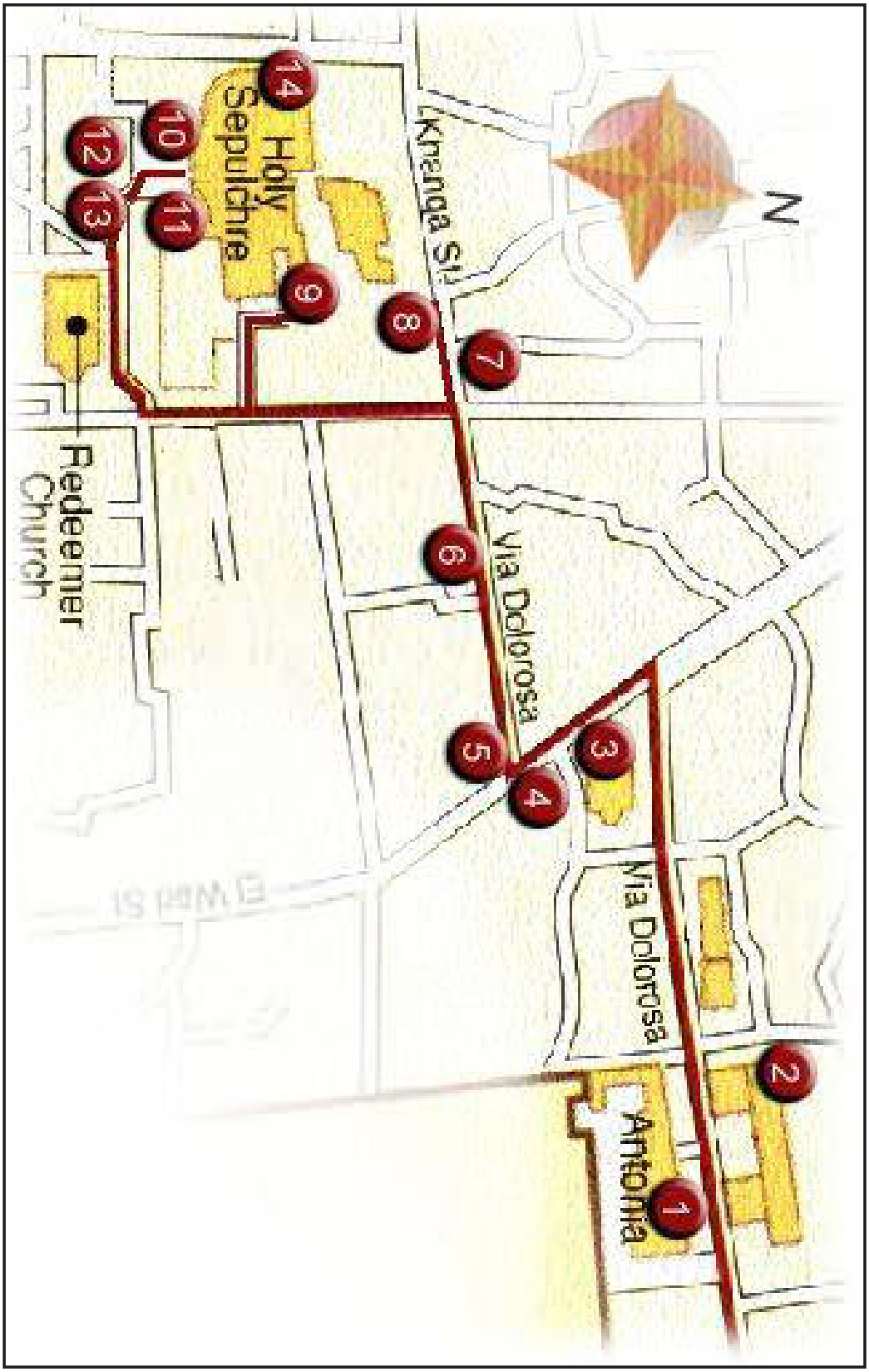

توضيح لطريق الآلام

نقلا عن: هديل ضميري، آلام السيد المسيح، الهيئة الإسلامية المسيحية- دائرة الإعلام.

صورة توضح المحطات الأربع عشرة لطريق الآلام.

نقلا عن: https://ar.wikipedia.org/wiki

مشهد لنساء مسيحيات في طريق الآلام وهو قريب جدا من زي النساء المسلمات في زيارة الأربعين

نقلا عن: https://www.bbc.com/arabic/middleeast-56944320

الهوامش

(١) Puskas، Charles B.; Robbins، C. Michael. An Introduction to the New Testament، Second Edition. Wipf and Stock Publishers. 2011، pp. 122، 129.

وحول قصة الصلب في الاناجيل ينظر: يوحنا ١٧: ١ – ١١، لوقا ٢٢: ١ – ٦، متى ٢٦: ٦ – ٧، لوقا ٢٢: ٧ – ٢٠، لوقا ٢٢: ٢١ – ٢٣، متى ٢٦: ٣١ – ٣٥، متى ٢٦: ٣٦ – ٤٦، لوقا ٢٢: ٤٧ – ٥٤، لوقا ٢٢: ٥٥ – ٦٢. مرقس ١٥: ١ – ٤٥.

(٢) حسن موسى، القدس والمسجد الأقصى المبارك: حق عربي وإسلامي عصي على التزوير، دار باحث للدراسات، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦٩.

(٣) الفرنسيسكان: هم طائفة مسيحية ظهرت في ايطاليا على يد مؤسسهم فرنسيس الاسيسي اواخر القرن الثاني عشر وبدايات القرن الثالث عشر. ينظر: محمد الحافظ، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، دار البداية، ٢٠٠٦، ص ١٠٣.

(٤) Erwin Fahlbusch، Geoffrey William Bromiley، Jan Milic Lochman، John Mbiti، Jaroslav Pelikan، The Encyclopedia of Christianity، Wm. B. Eerdmans Publishing، 2008، p. 198.

(٥) James Forbes، Les stations du chemin de la croix، Josse، 1895، p. 8.

(٦) James Forbes، Les stations du chemin de la croix، Josse، 1895، p. 8.

(٧) Jean-Robert Caïn، Emmanuel Laugier، Trésors des églises de Marseille، Ville de Marseille، 2010، p. 62.

(٨) Pringle، Denys. “Church of St Cosmas”. The Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem: Volume 3، The City of Jerusalem. P. 160.

(٩) Schiller، Gertrud، Iconography of Christian Art،، Vol. II، Lund Humphries، London، 1972، p. 82.

(١٠) نشأت نظمي مهني، درب الآلام..مراحل طريق الآلام.. من قصر بيلاطس البنطي وحتى كنيسة القيامة، اسيوط، مصر، ٢٠١٨.. https://www.wataninet.com

(١١) حول محطات طريق الالم الاربعة عشر ينظر: هديل ضميري، الآم السيد المسيح، الهيئة الإسلامية المسيحية– دائرة الإعلام. https://farahe.wordpress.com

(١٢) هديل ضميري، آلام السيد المسيح، الهيئة الإسلامية المسيحية– دائرة الإعلام.

(١٣) نشأت نظمي مهني، درب الآلام..مراحل طريق الآلام.. من قصر بيلاطس البنطي وحتى كنيسة القيامة.

(١٤) المصدر نفسه.

(١٥) احمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١، ص ٦١٨.

(١٦) هديل ضميري، الآم السيد المسيح، الهيئة الإسلامية المسيحية– دائرة الإعلام.

(١٧) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٧٩.

(١٨) النساء: ١٥٧.

(١٩) نشأت نظمي مهني، درب الآلام..مراحل طريق الآلام.. من قصر بيلاطس البنطي وحتى كنيسة القيامة.

(٢٠) حول قيامة السيد المسيح في الفكر المسيحي ينظر: رسالة كورنثوس الأولى ١٥: ٣-٥.

(٢١) الجمعة العظيمة https://ar.wikipedia.org › wiki › – ويكيبيديا

(٢٢) Passion of Jesus، Wikipedia، the free encyclopedia.

(٢٣) Ibid.

(٢٤) الجمعة https://ar.wikipedia.org › wiki › العظيمة – ويكيبيديا

(٢٥) Ibid.

(٢٦) Ibid.

(٢٧) نشأت نظمي مهني، درب الآلام..مراحل طريق الآلام.. من قصر بيلاطس البنطي وحتى كنيسة القيامة.

(٢٨) المصدر نفسه.

(٢٩) الترمذي، السنن-الجامع الكبير، كتاب المناقب، حديث رقم (٣٧٧٥).

المصادر

القران الكريم.

العهد الجديد.

الكتب العربية:

١. أحمد سوسة، مفصل العرب واليهود في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.

٢. محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، ج١.

٣. حسن موسى، القدس والمسجد الأقصى المبارك: حق عربي وإسلامي عصي على التزوير، دار باحث للدراسات، بيروت، ٢٠١٠.

٤. محمد الحافظ، تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، دار البداية، ٢٠٠٦.

الكتب الاجنبية:

- Aland، Kurt; Aland، Barbara. The Text of the New Testament: An Introduction to the Critical Editions and to the Theory and Practice of Modern Textual Criticism. Erroll F. Rhodes (trans.). Grand Rapids: William B. Eerdmans Publishing Company. 1995.
- Erwin Fahlbusch، Geoffrey William Bromiley، Jan Milic Lochman، John Mbiti، Jaroslav Pee likan، The Encyclopedia of Christianity، Wm. B. Eerdmans Publishing، 2008.
- James Forbes، Les stations du chemin de la croix، Josse، 1895.
- Jean-Robert Caïn، Emmanuel Laugier، Trésors des églises de Marseille، Ville de Marseille، 2010.
- Pringle، Denys. “Church of St Cosmas”. The Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem: Volume 3، The City of Jerusalem.
- Puskas، Charles B.; Robbins، C. Michael. An Introduction to the New Testament، Second Edition. Wipf and Stock Publishers. 2011.
- Schiller، Gertrud، Iconography of Christian Art،، Vol. II، Lund Humphries، London، 1972.

مصادر شبكة الانترنت:

- الجمعة العظيمة: https://ar.wikipedia.org › wiki ›

- نشأت نظمي مهني، درب الآلام..مراحل طريق الآلام.. من قصر بيلاطس البنطي وحتى كنيسة القيامة، اسيوط، مصر، ٢٠١٨. **https://www.wataninet.com**
- هديل ضميري، الآم السيد المسيح، الهيئة الإسلامية المسيحية- دائرة الإعلام..**https://farahe.wordpress.com**
- **Passion of Jesus، Wikipedia، the free encyclopedia.**